

أضواء البيان

@ 258 فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر ، تضربها الأمواج تكفاً بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ، ترجه الأرواح ، فتميد الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة ، فتضرب وجوهها ، ويولي الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول
{ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَاصِمٍ }
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ { فبينما هم على ذلك ، إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فأروا أمراً عظيماً ، وأخذهم لذلك من الكرب ما لا أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالمدّهل ، ثم خسفت شمسها ، وخسف قمرها ، وانتثرت نجومها ، ثم كسخت عنهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) فقال أبو هريرة : فمن استثنى الله حين يقول { فَفَزَعَنَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ } قال : (أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فزع ذلك اليوم ، وأمنهم ، وهو عذاب الله يبعثه على شراء خلقه ، وهو الذي يقول { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ } إلى قوله { وَلَآكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } انتهى منه . ولا يخفى ضعف الإسناد المذكور كما ترى . وابن جرير رحمه الله قبل أن يسوق الإسناد المذكور قال ما نصه : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر في إسناده نظر ، وذلك ما حدثنا أبو كريب إلى آخر الإسناد ، كما سقناه عنه آنفاً . وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور ، من رواية إسماعيل بن رافع ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ساق الحديث نحو ما ذكرناه بطوله ، ثم قال : هذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وغير واحد مطولاً جداً . والغرض منه : أنه دلّ على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم القيامة أضيفت إلى الساعة لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو ذلك والله أعلم . انتهى منه . وقد علمت ضعف الإسناد المذكور .

وأما حجة أهل القول الآخر القائلين : بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ، فهي ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من تصريحه بذلك .

